«كتاب الإعلان..» عن عبقرية أهل الحكمة والايمان !!

عبدالجبار سعد

قبل أكثر من عقدين ظهر كتاب (عنوان الشرف الوافي) في الفقه والعروض والنحو والتاريخ والقوافي لإسماعيل بن المقري في القرن التاسع الهجري هذا الكتاب الذي اشتمل على خمسة علوم وحوى من الإعجاز مايبهر الناظر فيه .. فقد كتب على نسق لم يعرف الناس مثله في سائر الأعصار ومختلف اللغات ..

الكتاب هو كتاب فقه عندما تقرأه أفقيا .. ولكنه يحتوي وبنفس السطور والكلمات على أربعة أعمدة بألوان مختلفة يشمل كل عمود منها علما مختلفا عن الآخر فأحد الأعمدة خصص لعلم التاريخ ثم الآخر للعروض ثم النحو ثم التاريخ ثم القوافي .

●●●

ثم جاء في القرن الثاني عشر الهجري علامة من بلاد وصاب في اليمن هو صفي الدين أحمد بن عبدالله السلمي الوصابي الشهير بالسانة أي بعده بقرون فكتب على نفس النظم والنسق كتابا فاق فيه ابن المقري وفاق عنوان الشرف الوافي وهو كتاب في الفقه لكنه جعل في أعمدته تسعة علوم بدلا عن الاربعة التي فعلها ابن المقري سماها ترجيعات وبلغة قوية ومتينة وابداع يحير الناظر فيه .. حتى بهتت عبقرية ابن المقري في عنوانه أمام هذا الإعلان.

ولنستمع مايقوله أحد الذين عرض عليهم المؤلف هذا الكتاب ليقول رأيه فيه وهو العلامة القاضي الوزيرالعلامة أحمد بن ناصر بن محمد الحيمي المخلافي نسبة إلى مخلاف الحيمة وكان أول أمره قاضيا في الحيمة حيث مسكنه ولاه المؤيد بالله محمد بن المتوكل ثم استعفى من القضاء وبقي وزيرا له ثم حبسه المهدي محمد بن الحسن في سجن صيرة بعدن لخروجه مع يوسف بن المتوكل ضده ثم أطلقه وولاه القضاء بصنعاء ثم حبسه مرة أخرى بعدن ثم أفرج عنه وولاه قاضيا ببندر عدن وتوفي هنالك

أردنا أن نبين بهذا المختصر من (نشر العرف) عن مقام الرجل حتى نعرف قيمة مقالته فقد قال عن الإعلان .. ومؤلفه الكثير نقتبس منه مايلي:

« ..وتأليف يدل على إمكانية مؤلفه في تقييد غرائب الشوارد وثبوت قدم له في المصادر والموارد وألمعية وذكاء وذهن قد صفا وأحسن إشادة لمباني العلوم وترصيف لدرها المنظوم والمنضود » ثم يعرض على ماكتبه ابن المقري من قبله فيقول:

»ولو أنه رآه العلامة المقري صاحب (عنوان الشرف الوافي) لقال لم أفز من الشرف إلا بالعنوان وهذا قد استولى على الوسط منه والعنوان وأصبح هو القارئ لا المقري لمانظمه ونضد وقال: لا شك أن المعجز الحقيقي لأحمد .. «

وهو طبعا يقصد أحمد السانة مؤلف الإعلان وهو يذكرنا بهذا التعبير بكتاب أبي العلاء المعري في شرح ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي حين سماه (معجز أحمد) .

●●●

الكتاب سماه مؤلفه (الإعلان ..في الفقه عماد الدين بترجيعات في العروض والنحو النصريف والمنطق وتجويد القرآن وتتمات تروق الطالب والذاكر والكاتب والشاعر والمثابر على نصح الرعية والسلطان)

هذا هو عنوان الكتاب وهو برغم طوله لكن لا يستغنى عنه حتى يعبر صاحبه عماحواه فيه ، وهو حين تقرأه أفقيا كتاب في الفقه ثم ترى تسعة أعمدة من نفس التصنيف الفقهي وبنفس كلماته تتناول أصناف العلوم التي ذكرت في العنوان بلغة بليغة متناسقة مع ماجمع فيها من المواعظ والحكم والأخبار والأشعار والنصائح ..

هذا الكتاب أبصر النور بجهد وتحقيق ثلاثة من مثقفي عصرنا وهم الأساتذة الأعلام: أ .محمد بن محمد العرشي، أ .علي بن صالح الجمرة ، أ .عبد الخالق حسن المغربي فقد بذل الثلاثة جهودا تستحق الإعجاب والتقدير ليس في الضبط والتحقيق فحسب بل في عمل مقدمة ضافية تناولت تحقيقا واستقصاء لمسار العلوم في اليمن وتناثر المخطوطات في بلاد الدنيا .. مع استقصاء لمسار العلماء منذ صدر الإسلام ومن نبغ منهم وقصده العلماء من أقطار الأرض وكيف تراكمت المعارف وكيف تفجرت العلوم في هذه الارض اليمنية وكيف حدث التنافس بين العلماء والمصنفين بما فيهم الأمراء والملوك والأئمة وكل ذلك قد أوصل أمثال ابن المقري والسانة إلى هذه القمم ..

ثم يصل المحققون الى بغيتهم في التعريف بالكتاب والكاتب ومن عاصره بشكل يثري الكتاب ومافيه ..

نجد في الكتاب إطلالة للأخ الأستاذ خالد الرويشان: رأيت الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح قد أثني عليها وأعطاها حقها بما أشار إليه من تقديم للكتاب ..

بقي أن نقول أن هذا الكنز العظيم من المعرفة قد وجد له من ينبش التاريخ لاستخراجه ووجد له من يتبنى تقديمه للناس بحلة رائعة ويقدمه هدية لجيلنا والأجيال القادمة كمثال لمعاني الحكمة اليمانية والتحدي العبقري المعرفي لأهل اليمن وهو الأخ الشيح توفيق صالح .. وكنت أتوقع أن تأتي المبادرة من وزارة الثقافة أو من الهيئة العامة للكتاب .. ولكنها جاءت من شركة التبغ والكبريت ورئيسها فيا للعجب العجاب وعموما فقد ورد في الأثر .. «لا يشكر الله من لم يشكر الناس » ، والرجل له يد طولى في كثير من الأنشطة العلمية والفكرية والرياضية فيما أعلم وفي تشجيع العلماء والباحثين .. فله الشكر الجزيل منا والمثوبة من الله .

العيد الذهبي لدولة الكويت

بقلم/ علي صالح الجمرة

في الخامس والعشرين من شهر فبراير الحالي تحتفل دولة الكويت بالعيد الذهبي للاستقلال أي بالعيد الخمسين لاستقلالها.

ومن حق الكويت أن تفتخر بالمسيرة النيرة التي سارت عليها خلال تاريخها الحي المشرق.

فلقد كانت الكويت هي الدولة الخليجية الأولى التي مدت يدها لأشقائها عبر الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي والتي عنيت ببناء المدارس والمستشفيات والمستوصفات ودور المعلمين والمعلمات بل والكليات الجامعية في كل من اليمن شمالا وجنوباً قبل الوحدة اليمنية المباركة عام ١٩٩٠م، وفي السودان ودولة الإمارات والبحرين، فخير الكويت قد عم الجميع ، ولم تبخل الكويت في بذل المال من اجل التنمية الاجتماعية والصحية والتعليمية ، فهي مقر دائم للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي.

كما أن الكويت قد أشعلت نور الثقافة والمعرفة الرصينة ، ابتداء من إطلاقها لمجلة العربي منذ عام ١٩٥٨م وحتى اليوم ، ثم مجلة «عالم الفكر» ومجلة الوعي الإسلامي والعربي الصغير، والكتاب الشهري عالم المعرفة ، ومجلة العلوم الاجتماعية ومجلة الكويت وغيرها.

وهذه المجلات والكتب كان لها الفضل الكبير في نشر الثقافة العربية والإسلامية بل والثقافة الإنسانية بشكل عام، فضلا عن نشر الوعي بالعلوم الاجتماعية والعلوم البحتة.

وقد امتازت تلك الكتب والمجلات بطباعة فاخرة وبألوان زاهية مما ساعد على انتشارها والولع بها واقتنائها من قبل الآلاف من المثقفين والمهتمين، لاسيما وأن أسعارها زهيدة لا تساوي قيمة تغليفها وإرسالها عبر البريد.

ومما يجعلنا ممتنين للكويت ما قام به المسئولون الكويتيون في وزارة الإعلام وخاصة الإذاعة والتلفزيون في دعم برامج الإذاعة والتلفزيون في اليمن خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي فقد كانت مكتبة الإذاعة والتلفزيون الكويتية مفتوحة أمامنا في كل وقت وحين لنغترف منها ما نحتاجه من برامج.

وكان وجه الأب المربي الأستاذ/ عبدالعزيز جعفر وكيل وزارة الإعلام لشؤون الإذاعة والأستاذ الفنان المثقف/ محمد السنعوسي وكيل الوزارة لشؤون التلفزيون كانت وجوههم مبتسمة مبشرة مستبشرة بالخير ترحب بنا وتدفعنا إلى أن لا نتردد في طلب ما نحتاجه من برامج ومسلسلات ومنوعات وغيرها بما يلبي احتياج الإذاعة والتلفزيون في اليمن.

وهنالك جوانب ثقافية أخرى فلا شك أن للمسرح الكويتي دوراً بارزا في تأهيل وتدريب العديد من المسرحيين اليمنيين في عقد السبعينيات من القرن الماضي.

كما أن التنوير الفكري لم يقتصر على ما يطبع أو ينشر من كتب ومجلات ، ولا على ما تنشره الوسائل السمعية والبصرية بل كان التنوير ولا يزال قائما في الممارسة الفعلية للحياة السياسية في دولة الكويت، فمجلس الأمة شاهد حي على الممارسة الديمقراطية المستنيرة التي شاء لها القدر أن يكون أعضاء مجلس الأمة أكثر إثارة للنقاش والحوار داخل قاعة المجلس، وهذا ما جعل البعض يظن بأن ممارسة الديمقراطية في الكويت قد أصبحت ترفا وأنها عبء على الحياة السياسية ، لكن الواقع ينبئ عن شيء آخر هو أن الممارسة الديمقراطية لن تتجذر إلا بالمزيد من الممارسة برغم مرارتها.

فليس أسوأ من الديمقراطية سوى فقدانها.

ولقد كان لي والأستاذ المرحوم/ يوسف الشحاري نائب رئيس مجلس الشعب التأسيسي شرف المشاركة في احتفالات دولة الكويت بالعيد الفضي للاستقلال عام ١٩٨٦، وقد تجسد الاحتفال الرسمي بافتتاح المبنى الجديد لمجلس الأمة الكويتي ذلك المبنى الفريد من نوعه في الوطن العربي فهو مصمم ليكون مبنى للبرلمان الكويتي بكامل لجانه وقاعات اجتماعاته ومكاتب أعضائه وسكرتاريته وغيرها من المنشآت المرتبطة بطبيعة عمله النيابي، وقد تجولنا في أقسامه المتعددة والتي لم نجد لها نظيراً سوى مبنى البرلمان الياباني.

وكان خطاب سمو الأمير المرحوم الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت آنذاك قد أكد على أن الحياة النيابية الديمقراطية ستستمر معززة بالثقة بين الحاكم والمحكوم وبالقناعة التامة بأهمية مجلس الأمة في بلورة الحياة السياسية والإدارية لدولة الكويت ، وعند ذلك قال لنا الأستاذ إبراهيم المنيس عضو مجلس الأمة: الحمد لله فلا تراجع بعد الآن عن الممارسة الديمقراطية في دولة الكويت، فتأكيد سمو أمير البلاد على ذلك يجعلني مطمئنا على بقائها.

وفي اليوم الثاني للزيارة كان للوفود البرلمانية والإعلامية المدعوة من كافة الدول العربية شرف المشاركة في احتفالات المعاقين جسديا بالعيد الفضي لدولة الكويت.

حيث قام المدعوون بزيارة المعاهد التعليمية والمراكز الصحية للمعاقين الذين هم من جميع الدول العربية شبابا وشابات.

معاهد جمعت بين المعالجة للأجسام والتنوير للعقول والأفهام والتدريب والتأهيل لهم مهنيا ليكونوا قادرين على مواجهة الحياة مشاركين في صنع حاضرهم ومستقبلهم، فضلا عن تنمية روح الإبداع الفني والأدبي والروحي للمعاقين بحيث يتمتعون بالحياة الحرة الكريمة.

وكان هنالك عدد من المعاقين اليمنيين الذين كان لهم حضور فاعل رغم أن عددهم لايزيد عن ثمانية عشر طالبا معاقا يتعالجون ويتعلمون هنالك وهم في غاية السعادة والابتهاج.

هذا ما شاهدناه خلال تلك المناسبة ، وقد أعجب البرلمانيون العرب بما شاهدوه وعبروا عنه في كلماتهم لأن اهتمام دولة الكويت بالإنسان العربي المعاق قد لفت نظر الجميع إلى أهمية معالجة القصور الذي تعانيه كافة الدول العربية في هذا المجال.

إننا نبارك لدولة الكويت الشقيقة بالعيد الذهبي لاستقلالها ونرجو لها التقدم والازدهار في كافة المجالات، كما نتمنى أن تصل جميع الدول العربية إلى ما وصلت إليه دولة الكويت من الإيمان بالديمقراطية وممارستها ومن الاهتمام بالمعاقين جسديا وذهنيا.

كما نتمنى أن تسعى كافة الدول العربية إلى القيام بالتكامل الاقتصادي والاجتماعي بحيث تصل إلى ما وصلت إليه الدول الأوروبية من تكامل اجتماعي واقتصادي وسياسي، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كانت روح الثقة هي القاسم المشترك بين قيادة الأمة العربية للخروج من محنة الفرقة إلى روح التعاون والتكامل بين جميع الأنظمة السياسية العربية لما فيه خير أمتنا وشعوبها.

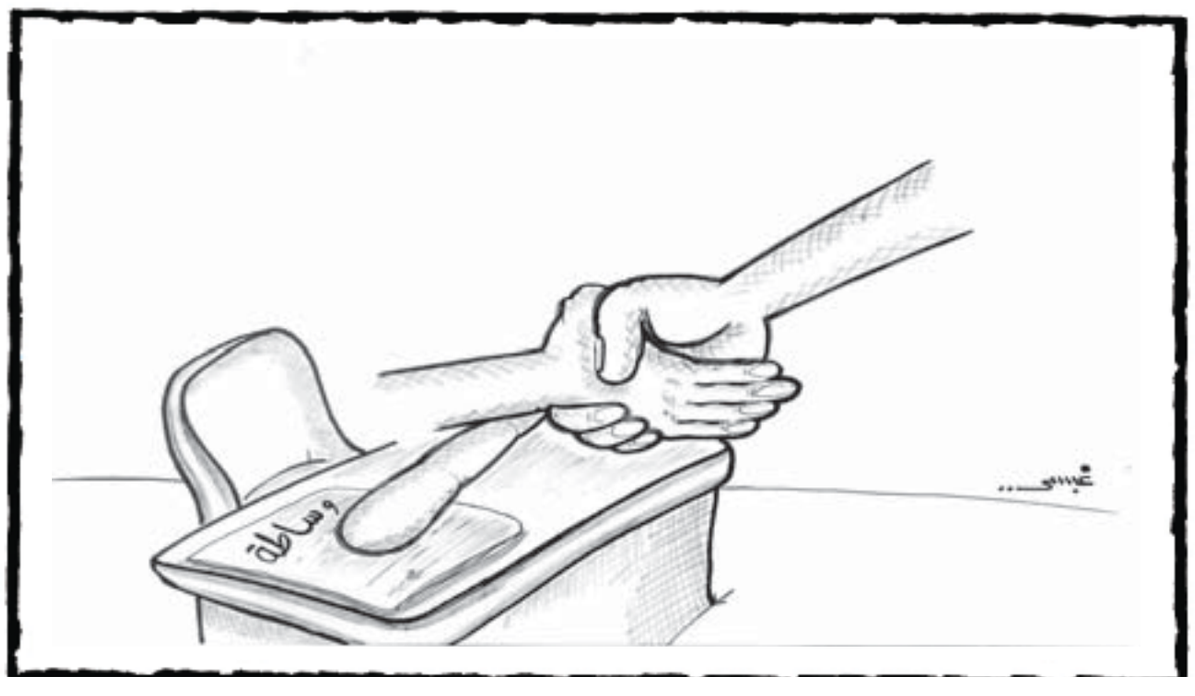

محمد عثمان طالب الجرادي *

القات شجرة بحجم الكارثة «16»

عند إعطائنا هذا العنوان والوصف الدقيق لشجرة القات الموبوءة وتطرقنا إلى أضرارها الاقتصادية والصحية والاجتماعية والأخلاقية المدمرة للحياة في الحلقات الماضية من هذه الدراسة إنما لنؤكد حقيقة واضحة ومؤسفة وعقبة معيقة كأداء في حياة المجتمع اليمني نبرز فيها سببا رئيسيا لفقره وبؤسه واعتلال صحته واستمرار تخلفه الاقتصادي والاجتماعي وبذلك جاء العنوان «القات شجرة بحجم الكارثة» ناطقا بمفهومه ومدلوله مطابقا لصفته وفعله واسم على مسمى بالمعنى الواضح لهذه العبارة.

رغم أضرارها الفادحة وآثارها السلبية الواضحة فقد خضع المجتمع اليمني لإنتاج واستهلاك شجرة القات التي استعبدته وأضعفت قدرته ورغبته في العمل والإنتاج بقدر ما أضعفت مناعته الصحية وأفقدته منامه وراحته وهنائه أحرمته من الاستمتاع بحياته واحساسه الطبيعي على مدار الساعة استسلم لاستهلاكها بشراهة وتلقائية عجيبة إلا من رحم ربي استشرت في أوساطه وأوصاله ودمه كداء السرطان وهكذا إلى جانب سلسلة من الأمراض الخطيرة الأخرى التي أصابت المجتمع اليمني شكلت شجرة القات الوبائية سببا رئيسيا لانتشار هذا الداء الخبيث السرطان في مختلف أوساطه وأفقدته الإحساس بخطورة وأضرار هذه المشكلة المتفاقمة التي يعاني منها بصورة مروعة سادرا في غيه يمضي المجتمع اليمني متجها ومندفعا في هذه المتاهة كالأعمى البصيرة والبصر رغم إدراكه وإحساسه بخطورتها وفداحة الثمن الاقتصادي والصحي والاجتماعي المدفوع بخصص ويستنزف معظم موارده المالية والاقتصادية والزراعية المحدودة لإنتاج واستهلاك شجرة القات الوبائية بكميات مهولة يعرض نفسه للموت جوعا وعطشا في سبيل هذه النبتة الشيطانية ولا يبالي يستجدي صدقات العالم وحسناته ويستصرخ دوله وشعوبه بحثا عن الحل لنجدته واسعافه وإنقاذ حياته دون أن يفكر أو يلتفت إلى الحل الناجع لمشاكله الاقتصادية والزراعية والغذائية الكامن في أرضه وثروته الزراعية المعطاة داخل وطنه هذا من فرط كسله وخموله الذهني والبدني وتبلد حسه بفعل اعتلافه هذه الشجرة الوبائية ليل نهار.

رغم هذا الواقع المائي والغذائي المأزوم والمختل بدرجة خطيرة في بلادنا ما زالت مشكلة القات تتصاعد وتتفاقم سنة بعد أخرى وشهراً بعد شهر بصورة حادة دون توقف لذلك أصبح إنتاج واستهلاك القات في طول وعرض البلاد يمثل نشاطا استثماريا رئيسيا يفوق بكثير حجم ومجمل الأنشطة الاستثمارية الاقتصادية والتجارية والمالية والخدمية الأخرى بمراحل يحل محلها ويقصيها ويقوم على حسابها بالتأكيد يستنزف ويدمر ثروة المجتمع وصحته الغالية على الدوام.

بدلا من زراعة وإنتاج الغذاء على وجه الخصوص تحل محله مزارع إنتاج واستهلاك القات الموبوء تنمو بسرعة قياسية كالفطر في السهول والوديان والجبال تنجذب وتزحف على مصادر المياه العذبة وتستولي عليها وتستنزفها بشراهة بالغة كمصاصي الدماء في القفار الخالية دون رقيب أو حسيب لا تبقى لمياه الشرب والاستخدامات البشرية والنباتية والحيوانية الأخرى سوى النزر اليسير كما هو معروف للعامة قبل الخاصة.

رغم هذه المحنة الشيطانية المعاشة والمحسوسة والمدركة في الوعي والواقع الاجتماعي اليمني وقناعته الراسخة إلا أن نفس المجتمع صغاره وكباره عدا القلة ينجذب لاستهلاك واعتلاف شجرة القات تلقائيا دون تفكير عقلاني أو تروي يتزاحم عليها ويخلق لها الأسواق الرائجة والأسعار الغالية بصورة غريبة كأنها تمثل أهم الاحتياجات الأساسية للحياة البشرية في اليمن مع أنها بحكم طبيعتها المدمرة للإنسان والحياة تخرج عن إطار الاحتياجات الأساسية والثانوية إلى اتجاه عكسي مضاد ومدمر للإنسان والحياة.

في الخطوط الرابطة بين المدن والأرياف اليمنية تتضح الصورة أكثر لكل مهتم بهذه المشكلة فهناك تشاهد الأرض الزراعية الخصبة التي كانت منتجة للغذاء حتى أشهر وليس فقط لسنوات مضت قد تحولت إلى مزارع لإنتاج أشجار القات الموبوءة بسرعة قياسية في مختلف محافظات البلاد كما تشاهد آلاف الخزانات المائية المتحركة والمتنقلة التي تستنزف وتشفط احتياطي المياه المخزونة من مختلف السهول والوديان وتغذي بها مزارع إنتاج القات وإروائها مهما كانت المسافات الفاصلة ومهما كان الثمن لأن مستهلكي القات الموبوء المتزاحمين عليه بشراهة عجيبة لا يترددون في احتماله وتعويضه فورا لمنتجي هذه الشجرة الخبيثة المتخمين بالأرباح الخالية والمال الحرام من جيوب هذا المجتمع المنكوب بكارثة شجرة القات وصحته ولقمة عيشه.

في سبيل هذه النبتة الشيطانية وحدهم منتجو وكبار مسوقو شجرة القات الوبائية وهم أفراد قلائل نسبة إلى مجموع عدد السكان يشعرون بالزهو والنشوة والانتصار لسببين رئيسيين الأول تخمتهم من الأرباح المالية الخيالية المحققة ومراكمة رؤوس الأموال الباهظة على حساب هذا الشعب كما أسلف الثاني أن معظمهم أو جميعهم لا يتناولون ولا يستهلكون شجرة القات لمعرفتهم بأضرارها القاتلة وإدراكهم ماذا ولمن ينتجون وإذا وجد من يستهلك القات من هذه الفئة فهو قات خاص وخال من الملوثات والمبيدات السمية القاتلة وإذا تعرض أحدهم لأي مرض يسرع للعلاج بأفضل المستشفيات في الخارج لأن المال المحقق من جهد الشعب وعرقه وثروته المائية المحدودة وأرضه المستأجرة غالبا لا يعوزه فيما المجتمع المستهلك لشجرة القات الوبائية يبرز غالبا اعتلافه هذه الشجرة الخبيثة بدافع الكسل والخمول بمشكلة وقت الفراغ الوقت الذي يعتبر رأسمالا ثمينا وعنصرا فعالا للعمل والإنتاج وتحقيق المكاسب والإنجازات الوطنية وقهر الصعوبات والتحديات وتعزيز وسائل وقواعد وأسس الاعتماد الذاتي لتوفير الاحتياجات لدى مختلف شعوب العالم وفي مقدمتها الغذاء.

* باحث اقتصادي

للعملة وجهان

عمر مكرم

أيهما الوجه الأمامي للعملة وأيهما الوجه الخلفي طالما وأن للعملة وجهين؟

وفي السياسة كما في العملة لابد للدبلوماسية من وجهين مختلفين لا يلتقيان مطلقا.. أو بمعنى أوضح يناقض أحدهما الآخر.

هذا الوجه الأمريكي الذي يطالعنا اليوم في زحمة الأحداث العربية ليس هو الوجه الأمريكي الذي ألفناه منذ ربع قرن مضى في الساحة الدولية عموماً والعربية خصوصاً لقد تغيرت فيه الملامح وتناقضت معه المعايير وشوهت الأخلاقيات وكذلك كان حال الوجه الأوروبي في الغالب الأعم.

يحاول الصوت الأمريكي المبحوح القادم من خارج الشأن الداخلي أن يتعاطى مع عواطفنا ويدغدغ مشاعرنا ويحفز مآقينا بحثاً عن دمعة تحجرت في العيون أو جرح غائر في الأعماق يدفعنا إلى الصراخ الهستيري المجنون.. ونحن الذين ظللنا نبكي البطل المغروس في كبد الأرض منذ ما يزيد عن ستين عاما والوجه الأمريكي جامد القسمات.. ثابت التعابير.. صامت المعاني لا يمنحنا فرصة للابتسام.

نحن الذين كبلتنا قيود الاحتياج لنسمة هواء حر نقي إنساني يشدنا إلى مناخات السمو والرقي والتقدم والعيش الكريم.

ونحن الذين حاولنا البحث لأنفسنا عن موطن آمن مستقر يُبنى بسواعد الأبناء، ويرتفع شامخاً بعبقريات العقول البيضاء وطمأنينة النفوس النقية المؤمنة بشرف الواجب الوطني والديني والأخلاقي.. ولكن هيهات.. فما بين وجه الأمس الأمريكي ووجهها اليوم إلا كومة من المساحيق التي تحاول طمس الحقيقة وتزييف الوعي.

هل حقاً أن ما جرى ويجري في ساحتنا العربية هو موجة تغيير شعبي بدءاً من العراق ومروراً بالسودان وتونس ومصر. وانتهاءً بما لا ندري أين؟!..

وهل هي الإرادة الشعبية التي فرضت انفصال جنوب السودان عن شماله وأوقعت المجازر واحتدمت بسببها المواجهات بين حزب الله وقوى ١٤ آذار في لبنان؟!..

وهل كانت البطالة والجوع يسببان في اتساع رقعة الفوضى والقتل في الشيشان والهند وباكستان وأفغانستان واليمن والسعودية وغيرها من بقاع الأرض؟!..

إن العقل العربي الذي ذهب في غيبوبة سياسية طويلة وذهب بعيداً في استجابتها الطوعية للقرية الإعلامية الصغيرة التي تتحرك وفقاً لرغبة الكنترول المركزية يحتاج اليوم وأكثر من أي وقت مضى إلى صحوة حقيقية يعيد فيها تركيب المفردات وربط المعاني لإعادة قراءة الواقع المتحرك من حوله وفقاً وتسلسل الأحداث الجارية من حوله وفي إطار السلسلة المتصلة وليس من خلال مفرداتها..

وسيدرك هذا الوعي ذلك الاتجاه الذي يقود كامل العملية في سبيل تحقيق أهداف رسمت في استراتيجية قديمة بعيدة المدى تؤدي إلى شرق أوسط جديد من خلال مجتمعات عربية متفككة ومتناحرة.. تتهافت على اللحظة المعاشة ولا تفكر بما هو أبعد من أرنبة أنفها.

حكاية القارئة «عفاف»

حسين البكري

الأستاذ الوالد المحترم (حسين البكري): أنا من المتابعين لكتاباتك بصحيفة «الثورة» لذا قررت أن أكتب إليك بعد أن ضاق بي صبري على ما ألاقيه، لذا لم أجد غيرك لأكتب إليه ليضيء طريقي بعد أن تحولت حياتي إلى جحيم لا يطاق، وقد طلقها أبي واليوم أنا أعيش في كنفه المريض الشبه مشلول بسبب ما فعلته أمي بنا .. وربما الكوني شديدة الشبه منها تحول عن حنانه ودلاله لي إلى إنسان شرس يضربني يومياً ولأتفه الأسباب، وفي نفس الوقت أجده يحبني أكثر من حبه لحياته ويشتري لي كل ما أحتاج إليه وأكثر.

* نعم أبي رجل كريم وحنون وقلبه طيب غير أنه مجروح وحزين على حاله إلى حد أنه تحول إلى أب محب وكاره لي في نفس اللحظة .. فأصبحت أخاف منه وأكرهه .. نعم أكرهه وأكره الحياة معه .. غير أني غالباً ما أشفق على حاله..

* فيا سيدي. أنا اليوم أصبحت مجرد بنت قليلة الخبرة في كل شيء لأني عشت وحيدة في كنف أبي المريض لذا أريدك أن تنصحني وتشرح لي صدري. ماذا أفعل، فأبي يضربني ويكره رؤيتي ويكره أن يبدأ حديثاً معي، وأنا لم أعد أحفل بهداياه الفاخرة حتى وأنا أحس بقلبه الكبير مبللاً بالآلام وغير قادر على أن يحس بوجودي .. ترى ياسيدي من الجلاد الظالم أهو (أنا) أم (أبي) وهل أمي هي السبب بقسوته عليّ فأنا شديدة الشبه منها.

* هذا رغم أني مازلت صغيرة وجميلة؛ بينما عقلي متعب ومعذب وحائر على وجه الخصوص من قسوة قلب أبي عليّ، لقد تركت أمي بيتنا هكذا وبدون سبب ظاهر.

* ونتيجة خلافاتهما أصبحت وحيدة وضعيفة وخائفة من المستقبل فقل لي ماذا أفعل. وما هو الحل علماً أنا اليوم مخطوبة..

إلى القارئة (عفاف) أقول: «للأسف أن مشكلتك مأساة غالبا ما تتكرر في المجتمعات العربية، ياعفاف أنت ضحية وأبوك ضحية مثلك وأمك هي السبب. كل السبب، فكان قدرك أن تدفعين الثمن خوفاً وألماً، وأبوك الذي يراك في صورة أمك التي تركته وحيداً على فراش مرضه الشديد .. فلم يستطع أن يحسن تربيتك ولا تعليمك بسبب عجزه فجئت الحياة ضعيفة وخائفة من عدم قدرتك على التواصل مع المجتمع بسبب انزوائك في بيتكم بدون صديقات طيبات. أنصحك بعدم اليأس وممارسة القراءة وحاولي أن تتواصلي مع المجتمع وتكوين صداقات مع البنات القريبات من سكنك وستحل المشكلة.